الجهل

لفضيلة الدكتور/ مسفر بن سعيد دماس الغامدي [1]

توطئة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [3] .

---

(١) الأستاذ المشارك في السنة وعلومها، ووكيل معهد إعداد الأئمة والدعاة برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٢ .

(٣) سورة النساء، الآية ١ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[1].

وبعد : فإن الجهل داء عضال، وهو ضد العلم، والعلم نور، والجهل ظلمة، وضرره على الإنسان أعظم الضرر في الدنيا والآخرة، بل آثاره السلبية الخطيرة تصيب الإنسان في: عقله، وقلبه، وجوارحه، ورزقه، وصحته، وعلاقته بربه وعلاقته بغيره ،وعلاقته بالكون كله، لأن العلم ينير للإنسان حياته كلها؛ فإذا لم يتعلم قادة الجهل إلى تصور الأمور بغير ما هي عليه، وتعامل مع غيره بعكس ما يجب أن يتعامل به، وعمل عكس ما يجب أن يعمل؛ ولذلك أمر الله ورسوله بالعلم، وحثا عليه، وحذرا من مغبة الجهل وما يترتب عليه؛ نسأل الله أن يعلمنا من لدنه علماً، وأن يزيل عنا الجهل بمنه وكرمه.

تعريف الجهل :

الجهل : ضد العلم ، وتجاهل : أظهر الجهل وهو ليس بجاهل، واستجهله : عده جاهلاً واستخفه، والجهالة : أن تفعل فعلاً بغير علم، وجهلت الشيء: إذا لم تعرفه، والجاهل ضد العاقل، والجهل ضد الخبرة، والجاهلية : زمن الفترة ولا إسلام ، وهي حال العرب

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١ .

قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه، ورسوله وشرائع الدين، وما كانوا عليه من المفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبر وغير ذلك من الأخلاق المذمومة .. (١)

قال ابن القيم : الجهل قسمان:

١- بسيط وهو عبارة عن عدم المعرفة مع عدم تلبس بضده .

٢- ومركب وهو جهل أرباب الإعتقادات الباطلة .

والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم ، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه. (٢)

وقال أيضاً : الجهل نوعان :

١- جهل علم ومعرفة. ٢- وجهل عمل وغيٍّ .

وكلاهما له ظلمة ووحشة في القلب ، وكما أن العلم يوجب نوراً، وأنساً؛ فضده يوجب ظلمة ويوقع وحشة، وقد سمى الله سبحانه وتعالى (العلم) الذي بعث به رسوله نوراً، وهدى وحياة. وسمى ضده : ظلمة وموتاً وضلالاً قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ ﴾(٣)

---

(١) لسان العرب ج١١ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، النهاية ج ١ ص ٣٢٢ .
(٢) بدائع الفوائد ج ٤ ص ٢٠٩ ط دار الكتاب العربي .
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٧ ، مدارج السالكين ج ٣ ص ١٦٢ .

قال ابن القيم على الآية :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [(١)].

قال: ((أي أومن كان كافراً ميت القلب ، مغموراً في ظلمة الجهل ، فهديناه لرشده ، ووفقناه للإيمان ، وجعلنا قلبه حياً بعد موته... فأبصر الحق بعد عماه عنه ، وعرفه بعد جهله به ، وأتبعه بعد إعراضه عنه...)) [(٢)].

المبحث الأول المشرك جاهل :

قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) ﴾ [(٣)].

قال ابن كثير : ((يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى – عليه السلام – حين جاوزوا البحر ، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ، ﴿ فَأَتَوْا ﴾ أي : فمروا ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ ﴾ قال بعض المفسرين : كانوا من الكنعانيين ، وقيل : كانوا من لخم)) .

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٢ .

(٢) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٢١ ط تحقيق محمد الفقي .

(٣) سورة الأعراف، الآيتان ١٣٨ ، ١٣٩ .

قال ابن جرير: وكانوا يعبدون أصناماً على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك، فقالوا : ﴿ **يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ أي : تجهلون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل ﴿ **إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ** ﴾ أي: هالك ﴿ **وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[١].

وقال القرطبي: نظيره قول جُهال الأعراب – وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تُسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يوماً — : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال – عليه الصلاة السلام –: ((**الله أكبر . قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾، ((لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**))[٢] وكان هذا في مخرجه إلى حنين .[٣].

إن الجهل مصيبة عظيمة ، وكارثة كبيرة ؛ تجعل الإنسان يتخبط في هذه الحياة، فهو لا يعرف الله، ولا يعرف شرع الله، قلبه مظلم ، بل ميت ، يسير من دون هدى تتحكم فيه الأهواء

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢١٨ ، والترمذي في السنن ، كتاب الفتن ، بابما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ، ج٤ ص ٤٧٥ رقم ٢١٨٠ ثم قال عنه : حديث حسن صحيح .

(٣) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٢٧٣ .

والشهوات، ويتحكم فيه الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء .

المبحث الثاني الذين طلبوا من النبي أن يطرد المؤمنين : جاهلون قال تعالى :﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[١]

قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن نوح : لا أسألكم على نصحي مالاً أجرة آخذها منكم، إنما أبتغي الأجر من الله عز وجل، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾، كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه، إحتشاماً ونفاسة أن يجلسوا معهم ، كما سأل أمثالهم خاتم الرسل – صلى الله عليه وسلم – أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلساً خاصاً ، فأنزل الله تعالى :﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾[٢]

وقال القرطبي:﴿ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ في استرذالكم لهم ، وسؤالكم طردهم[٣] الملأ المتكبرون بغير الحق المتجبرون على

(١) سورة هود، الآيات ٢٨-٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥١ .

(٣) تفسير القرطبي ج ٩ ص ٢٦ .

الضعفاء والمساكين الذين لم يستجيبوا للحق ؛ طلبوا من الأنبياء والرسل طرد المؤمنين من الضعفاء والمساكين الذين آمنوا بما أرسل إليهم وصدقوا المرسلين، هؤلاء الكفار جهلهم وخبثهم ونجاستهم هي التي جعلتهم يطلبون مثل هذه الطلبات، وعدم علمهم ومعرفتهم بالله وبرسل الله وبشرع الله؛ جعلهم يفكرون بهذه الطريقة التي تنم عن إستعلاء وتكبر، لكن وصفهم بأنهم ((**قوم يجهلون**)) له دلالته، بل هذا الوصف مطابق للحقيقة بدليل ما طلبوه وتمحلوا فيه ..

المبحث الثالث: قوم لوط الذين كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء قوم جُهلاء عادون نَجَسْ

قال تعالى :﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

قال ابن كثير : يخبر تعالى عن عبده لوط – عليه السلام – : أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهى إتيان الذكور دون الإناث ، وذلك فاحشة عظيمة ؛ استغنى الرجال بالرجال،والنساء بالنساء،قال :﴿ أَتَأْتُونَ

---

(١) سورة النمل، الآيات ٥٤- ٥٨ .

الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾، أي: يرى بعضكم بعضاً، وتأتون في ناديكم المنكر؟ ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي: لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً... [(١)].

قال ابن سعدي: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ أي: الفعلة الشنعاء، التي تستفحشها العقول والفطر، وتستقبحها الشرائع ﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ذلك، وتعلمون قبحه، فعاندتم، وارتكبتم ذلك، ظلماً منكم، وجرأة على الله.

ثم فسر تلك الفاحشة فقال: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴾ أي: كيف توصلتم إلى هذه الحال، فصارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم، محل الغائط والنَّجو، والخبث، وتركتم ما خلق الله لكم، من النساء، من المحال الطيبة، التي جبلت النفوس على الميل إليها. وأنتم انقلب عليكم الأمر، فاستحسنتم القبيح، واستقبحتم الحسن. ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ متجاوزون لحدود الله، متجرئون على محارمه... [(٢)] هذا النجس وهذه النجاسة، وهذا الخبث وهذه الخبائث؛ لا تصدر إلا من الجهلاء الأنجاس، العادون، الذين قد مسخت فطرهم، فأصبح الحق عندهم باطلا، والباطل حقاً، وأصبحت الرذيلة عندهم فضيلة، والفضيلة رذيلة، والطهر نجس،

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٠٩ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٥٨٧ .

والنجس طهراً، بل انقلبت عندهم الموازين راساً على عقب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المبحث الرابع: القوم الذين لم يستجيبوا لدعوة نبيهم قوم يجهلون و لايعقلون ولا يفهمون قال تعالى :﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[(١)] .

قال ابن كثير : يقول تعالى مسلياً لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ وهو هود – عليه السلام – بعثه الله إلى عاد الأولى، وكانوا يسكنون الأحقاف وهو واد بحضرموت مشرف على البحر بأرض يقال لها الشِّحر ... استعجلوا عذاب الله وعقوبته، استبعاداً منهم وقوعه، كقوله: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي : الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيفعل ذلك بكم، وأما أنا فمن

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات ٢١– ٢٥ .

شأني أني أبلغكم ما أرسلت به، ﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ أي : لا تعقلون ولا تفهمون [١] .

قال ابن سعدي : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وهذا غاية الجهل والعناد ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فهو الذي بيده أزمة الأمور ومقاليدها وهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ أي ليس عليّ إلا البلاغ المبين ﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ أي : ولكنكم تجهلون ما تبعث به الرسل، لأن الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين، ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه، وليس من وظيفتهم الإتيان بالعذاب، ولا تعيين وقت نزوله، ولذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة..[٢] .

وهكذا كانت خاتمة المكذبين المعاندين الجهلة بالله، وآياته وسننه؛ الدمار الشامل، نعوذ بالله من الجهل وما يترتب عليه من عذاب ونكال وشقاء .

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٧ ص ٢٦٨- ٢٦٩ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٧ ص ٥٣ ط السعيدية .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١١١ .

يقول ابن كثير: يقول تعالى: ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ فنزلنا عليهم الملائكة، أي: تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل، كما سألوا فقالوا : ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴾[1] و ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾[2]، ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

﴿ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي : فأخبروهم بصدق ماجاءتهم به الرسل ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ من المقابلة والمعاينة ... قال مجاهد : ﴿ قُبُلًا ﴾ أفواجاً ، قبيلا قبيلا ، تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فنخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤهم به ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي : إن الهداية إليه، لا إليهم . بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لعلمه وحكمته، وسلطانه وقهره وغلبته، وهذه الآية كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٩٢ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٤ .

(٣) سورة الفرقان، الآية ٢١ .

ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾[١]، [٢] .

وقال القرطبي : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أي : يجهلون الحق . وقيل : يجهلون أنه لا يجوز اقتراح الآيات بعد أن رأوا آية واحدة[٣] لفرط جهلهم وعنادهم طلبوا أن تنزل الملائكة، ويكلمهم الموتى، ويأتي بالأمم قبلا، ويأتي بالله، أو يرون الله ... وهذه الطلبات تدل على جهلهم بالله وبآيات الله، وبشرع الله، وبمهمة رسل الله ....، وتدل على أنهم لن يؤمنوا بدليل هذه الشروط وهذا التمحل ولذلك قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لأنه سبحانه وتعالى يعلم طبيعتهم الملتوية، وعقولهم الفاسدة، وجهلهم المطبق ..

المبحث الخامس: ما فعله إخوة يوسف دليل على جهلهم

قال تعالى :﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾[٤]

قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن يوسف – عليه السلام – : أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجدب، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه، مع ما هو فيه

(١) سورة يونس، الآيتان ٩٦ ،٩٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣١١ .

(٣) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٦٧ .

(٤) سورة يوسف، الآية ٨٩ .

من الملك والتصرف والسعة ، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته ، وبدره البكاء ، فتعرف إليهم ، يقال : أنه رفع التاج عن جبهته ، وكان فيها شامة ، وقال :﴿ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴾ أي: إنما حملكم على هذا الجهل، بمقدار هذا الذي ارتكبتموه ، كما قال بعض السلف : كل من عصى الله فهو جاهل ، وقرأ :﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾...إلى قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ .

والظاهر - والله أعلم - أن يوسف — عليه السلام — إنما تعرف إليهم بنفسه ، بإذن الله له في ذلك ، كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله تعالى له في ذلك، والله أعلم، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر ، فرّج الله تعالى من ذلك الضيق، كما قال تعالى :﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ ﴾ فعند ذلك قالوا : ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾... ثم اعترفوا له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخلق، والسعة والملك، والتصرف والنبوة أيضاً... وأقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا في حقه [1] .

كم يكون حياؤهم وخجلهم من يوسف عندما ذكّرهم ما فعلوه به وأخيه ، لكن الجهل وتحكيم الهوى، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، واتباع خطوات الشيطان؛ تجر الإنسان إلى أعظم من ذلك،

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٢ .

ولذلك كان إعتذارهم يحمل في طياته الإعتراف مع الندم المصاحب للألم من قبح فعلهم والذي كان نتيجة من نتائج الجهل ...

المبحث السادس: من صفات عباد الرحمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً قال تعالى :﴿ **وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣** ﴾ (١)

قال ابن كثير : أي : إذا سفه عليهم الجهال بالسّيء ، لم يقابلوهم عليه بمثله ، بل يعفون ويصفحون ، ولا يقولون إلا خيراً ، كما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، وكما قال تعالى :﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥** ﴾ .

وقال الحسن البصري : ((قالوا : سلاماً)) قال : حلماء لا يجهلون، وإن جهلوا عليهم حلموا، يصاحبون عباد الله نهارهم بما تسمعون، ثم ذكر أن ليلهم خير ليل .

أخرج أحمد بسنده من حديث النعمان بن مقرن المزني قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسب رجل رجلاً عنده قال : فجعل الرجل المسبوب يقول : عليك السلام . قال : فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : ((**أما إن ملكاً بينكما يذب**

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٣ .

عنك، كلما شتمك هذا قال له : بل أنت أحق به . وإذا قال له : عليك السلام، قال : لا، بل عليك، وأنت أحق به)) قال ابن كثير: إسناده حسن، و لم يخرجوه .[1]،[2]

قال القرطبي : قال مجاهد : معنى ((**سلاماً**)) سداداً . أي : يقول للجاهل كلاماً يدفعه به برفق ولين .. وقالت فرقه : ينبغي للمخاطب أن يقول للجاهل سلاماً؛ بهذا اللفظ. أي: سلاماً أو تسليماً، ونحو ذلك ..[3] .

أنعم به من خلق كريم بأن يرد المسلم على الجاهل السفيه الذي لم يتأدب بأدب الإسلام بهذه اللفظة الجميلة التي تحمل السلام والسلامة ، وتحمل أدب الإسلام الراقي المنضبط إنها [سلام] إما بلفظها أو بكلام يدل على السلام والسلامة، ويدل على الصفح والهجر الجميل .

ثم قال تعالى :﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾** ﴾[4]

قال ابن كثير : أي : لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم بل كما

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ٤٤٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ١٣١،١٣٢ .

(٣) تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٧٠ .

(٤) سورة القصص، الآية ٥٥ .

قال تعالى :﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[١] وإذا سفه عليهم سفيه، وكلّمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه، أعرضوا عنه و لم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب . ولهذا قال عنهم هذه الآية أي : لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها ... [٢]

وقال القرطبي : أي : متاركة؛ مثل قوله تعالى :﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ أي : لنا ديننا ولكم دينكم . ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : أمْناً لكم منا فإنا لا نحاوركم، ولا نسابّكم، وليس من التحية في شيء . قال الزجاج : وهذا قبل الأمر بالقتال . ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي : لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاغبة [٣] .

المبحث السابع من جهل المشركين أن دعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى عبادة آلهتهم

قال تعالى :﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[٤]

قال ابن كثير : ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره ، عن ابن عباس : أن المشركين بجهلهم دَعَوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهه، فنزلت ..

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٥٤ .

(٣) تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٢٩٩ .

(٤) سورة الزمر، الآية ٦٤ .

وهي كقوله : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

وقال السيوطي : أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس : أن قريشاً دعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا : هذا لك يا محمد وتكفّ عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة قال : حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فأنزل الله ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ إلى آخر السورة . وأنزل ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤ ﴾ [2] .

كل من عصى الله فهو جاهل؛ وأعظم المعاصي الشرك بالله، ولو أن عندهم علماً كانوا مؤمنين، وليس بعد الكفر والشرك ذنب، ودعوتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – أن يعبد أصنامهم وآلهتهم، وهم يعبدون اله محمد : من أعظم الأدلة على جهلهم وحمقهم، وتبلد إحساسهم، وعدم معرفتهم بالله وبشرع الله، وبسنن الله، وبمهمة نبي الله؛ وهذا لاشك أنه غاية في الجهل والبلادة – نسأل الله العافية – .

المبحث الثامن نهى الله – تبارك وتعالى– نبيه أن يكون من الجاهلين ؛ لجزعه ، وحزنه ، وتحسره ؛على كفرهم

قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن

(١) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٠٣ .

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ص ٢٣٦ .

تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [١]

قال ابن كثير : كما قال تعالى :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [٢] .

قال علي بن أبي طلحة :عن ابن عباس في قوله :﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ ﴾ قال : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول[٣]، [٤] .

قال القرطبي : أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم - ألا يشتد حزنه عليهم إذا كانوا لا يؤمنون؛ كما أنه لا يستطيع هداهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ ﴾ أي: لخلقهم مؤمنين وطبعهم

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٣٥، ٣٦ .

(٢) سورة يونس، الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) تفسير الطبري ١١/ ٣٤٠ رقم الأثر ١٣٢٠٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٧ .

عليه؛ بيّن تعالى أن كفرهم بمشيئة الله ردّاً على القدرية . وقيل المعنى: أي لأراهم آية تضطرهم إلى الإيمان، ولكنه أراد عز وجل أن يثيب منهم من آمن ومن أحسن . ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ أي : من الذين اشتد حزنهم وتحسرهم حتى أخرجهم ذلك إلى الجزع الشديد، وإلى ما لا يحل؛ أى : لا تحزن على كفرهم فتقارب حال الجاهلين ... [1] .

هذا النهي من الله لنبيه؛ فيه بيان لحكمة الله، وأن الله لا يوفق للإيمان إلا من هو أهلاً له، وقد سبق له في علم الله وقدره السعادة بالإيمان برسوله – صلى الله عليه وسلم – وبامتثال أوامره والانتهاء عن مناهيه، أما من لم يكن أهلاً للسعادة فإنه لا يؤمن بالله .

المبحث التاسع أمر الله بالإعراض عمن تمادى في ضلاله واستعصى واستمر في جهله وغيه

قال تعالى :﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [2].

قال البخاري : باب ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ .

وأخرج بسنده من حديث ابن عباس قال: ((قدم عيينة بن

---

(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٤١٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٩٩ .

حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همّ به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله))[(١)] .

قال ابن كثير: قال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه .

وإما مسيء، فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ٥ رقم الحديث٤٦٤٢ ج٨ ص ٣٠٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات ٩٦-٩٨ .

ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، [2].

الجاهل العاصي من المسلمين لعل العفو عنه والإعراض عنه؛ لعله يرده إلى الحق، ويكفه عن الغي الذي هو فيه، وعن تمرده والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل .

المبحث العاشر: وعظ الله نبيه نوحاً أن يكون من الجاهلين؛ بسبب قوله : ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ .

قال تعالى: **﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾**[3] .

قال ابن كثير: هذا سؤال استعلام وكشف من نوح – عليه السلام – عن حال ولده الذي غرق، **﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾** أي : وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين ؟

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ ﴾ أي: الذين وعدت

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٣٧ .

(٣) سورة هود، الآيتان ٤٥، ٤٦ .

إنجاءهم، لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك. ولهذا قال: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ فكان هذا ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً – عليه السلام [١].

قال القرطبي: أي : أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك لئلا تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين؛ أي الآثمين.. قال ابن العربي: وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء والعارفين ..[٢] .

لا شك أن جميع أنبياء الله من العالمين والعارفين والمؤمنين، وليس أحد منهم من الجاهلين، لكن نوحاً عليه السلام وعظه الله أن تأخذه عاطفة الأبوة والقرابة، وتقديمها على رابطة العقيدة والدين وهي أقوى من الأولى، ونوح عليه السلام لم يفعل ذلك، لكنه فهم من الآية الأخرى أن الله سينجي أهله جميعهم، وابنه على هذا الاعتبار من أهله، ثم تبرأ نوح من أن يسأل الله ما ليس له به علم، وهذا غاية في العلم والعبودية .

المبحث الحادي عشر: إذا لم يعصم الله الإنسان من الوقوع في المعصية فإنه يكون من الجاهلين

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٨،٢٥٩ .

(٢) تفسير القرطبي ج٩ ص ٤٨ .

نَفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

قال القرطبي: ﴿ **أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ** ﴾.. أي: إن لم تلطف بي في اجتناب المعصية وقعت فيها ﴿ **وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ** ﴾ أي : ممن يرتكب الإثم ويستحق الذم، أو ممن يعمل عمل الجهال؛ ودل هذا على أن أحداً لا يمتنع عن معصية الله إلا بعون الله ودل أيضاً على قبح الجهل والذم لصاحبه[2].

وقال ابن كثير: وذلك يوسف – عليه السلام – عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال: أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك، خوفاً من الله ورجاء ثوابه. ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه**

---

(١) سورة يوسف، الآيتان ٣٢،٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٨٥ .

معلق بالمساجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب، فقال: إن أخاف الله))[1] .

المبحث الثاني عشر: حملُ الإنسان للأمانة دليل على ظلمه وجهله

قال تعالى: **﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾**[2] .

أورد ابن كثير عدة أقوال في معنى الأمانة منها: أنها الفرائض، وقيل: هي الطاعة، وقيل: الدين والفرائض والحدود، وقيل: الغسل من الجنابة، وقيل: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة.. ثم قال: وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأمر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٣١٣، والحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأذان باب ((من جلس في المسجد ينتظر الصلاة)). ومسلم في الصحيح، كتاب الزكاة، باب ((فضل إخفاء الصدقة)) .

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٢،٧٣ .

وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان.. وقال ابن كثير عن معنى ﴿ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ يعني: غرّاً بأمر الله .

قال ابن عباس: عرضت على آدم فقال: خذها بما فيها، فإن اطعت غفرتُ لك، وإن عصيت عذبتك. قال: قبلت فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم، حتى أصاب الخطيئة ..[(١)].

وقال القرطبي: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ قال الحسن: المراد الكافر والمنافق ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا ﴾ لنفسه ﴿ جَهُولاً ﴾ بربه... وهذا العرض عرض تخيير لا إلزام، والعرض على الإنسان إلزام...[(٢)] .

وهذه الآية تدل على أن الإنسان عندما تحمل هذه الأمانة كان يجهل تكاليفها ووافق على شرط هذا التكليف وهو النعيم لمن أطاع والعذاب لمن عصى لكنه لفرط ظلمه لنفسه، وفرط جهله بربه وبشرعه تحملها ووقع فيما وقع فيه لكن الله وعده بالمغفرة والرحمة إذا أقبل إليه وتاب من ذنوبه .

المبحث الثالث عشر: كل من عصى الله خطأً أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٤٧٧ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٥٥ .

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [(١)] .

قال ابن كثير: يقول تعالى إنما يتقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة، ثم يتوب ولو قبل معاينة الملك روحه قبل الغرغرة قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله خطأً أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب .

وقال قتادة عن أبي العالية: أنه كان يحدث: أن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة . رواه ابن جرير .

ثم قال قتادة: اجتمع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شئ عُصى به فهو جهالة، عمداً كان أو غيره .

وعن مجاهد قال : كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها[(٢)].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((**إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)) [(٣)] .

(١) سورة النساء، الآيتان ١٧، ١٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٥ ، وانظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ٩٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ٩٩، من حديث ابن عمر ثم قال : حديث حسن غريب . ج ٥ ص ٥٤٧ رقم ٣٥٣٧، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم ١٨٩٩ ثم قال : حسن .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[1]

قال ابن كثير: قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل. وقال عكرمة: الدنيا كلها جهالة...[2].

وقال القرطبي: ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ﴾ أي خطيئة من غير قصد.

قال مجاهد: لا يعلم حلالا من حرام، ومن جهالته ركب الأمر، فكل من عمل خطيئة فهو بها جاهل... وقيل: من آثر العاجل: على الآخرة فهو الجاهل ...[3].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾[4].

نعم كل عاصٍ جاهل؛ لأنه لو كان عالماً بالله، وبشرع الله، وبالحلال، وبالحرام، وبما تؤل إليه المعاصي في الدنيا، وفي الآخرة: لما

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٧.

(٣) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٣٥، ٤٣٦.

(٤) النحل / ١١٩، وذكر ابن كثير على هذه الآية مثلما ذكره على الآيات التي قبلها.

أقدم على أي معصية؛ وإذا وقع في معصية نتيجة لاتباع الهوى، أو لوسوسة الشيطان، أو إطاعة للنفس الأمارة بالسوء؛ فإنه سرعان ما يرجع إلى الله، ويتوب إليه، ويستغفره، ويندم على فعل هذه المعصية؛ فيقبله الله لأن الله غفور رحيم... فإذا كان العبد أهلاً للتوفيق، وفقه الله للعلم النافع الذي يعقبه فعل الصالحات؛ وترك المنهيات، لأن الجهل انتفى عنه بالعلم، وبالتالي انتفت المعاصي، أو محيت عنه .

نسأل الله أن يوفقنا للعلم النافع، والعمل الصالح، وترك السيئات، والفوز بالجنات، والمعافاة من النار .

المبحث الرابع عشر: المنافقون كانوا يعتقدون في الله إعتقاد أهل الجاهلية؛ من عدم النصر والظفر للمؤمنين ، وأن المشركين سيظهرون، وأن الإسلام سيباد وأهله

قال تعالى :﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾[1] .

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٤ .

قال ابن كثير : قال ابن مسعود : النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان .

وقال ابو طلحة : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه[1]، قال : والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعنه، وأخذله للحق ﴿ **يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ** ﴾ كذبة، أهل شك وريب في الله عز وجل... الطائفة الأولى : أهل الإيمان واليقين والثبات، والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله سينصر رسوله وينجز له مأموله... والثانية: هم الذين لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف... اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة.. .

قال ابن الزبير : لقد رأيتني مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين اشتد الخوف علينا، أرسل الله علينا النوم، فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، قال: فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير، ما أسمعه إلا كالحلم ﴿ **لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا** ﴾ فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله: ﴿ **لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا**

[1] صحيح البخاري ،كتاب التفسير باب ١١ .

قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ﴾ [١]

وقال القرطبي : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ يعني : المنافقين: معتب بن قشير وأصحابه ، وكانوا خرجوا طمعاً في الغنيمة وخوف المؤمنين ، فلم يغشاهم النعاس ، وجعلوا يتأسفون على الحضور، ويقولون الأقاويل... ﴿ وَطَآئِفَةٌ ﴾ أي: إذ طائفة يظنون أن أمر محمد – صلى الله عليه وسلم – باطل، وأنه لاينصر ﴿ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ أي : ظن أهل الجاهلية... وقال ابن عباس في قوله: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ يعني التكذيب بالقدر... ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ﴾ أي : ما قتل عشائرنا. فقيل : إن المنافقين قالوا : لو كان لنا عقل ما خرجنا إلى قتال أهل مكة، ولما قتل رؤساؤنا . فرد الله عليهم فقال: ﴿ لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ﴾ أي لخرج ﴿ ٱلَّذِينَ كُتِبَ ﴾ أي فرض. ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ ﴾ يعني في اللوح المحفوظ . ﴿ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ أي مصارعهم ..[٢] .

وقال ابن سعدي : ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وعلامة طمأنينة، لأن الخائف لا يأتيه النعاس، لما في قلبه من الخوف. فإذا زال الخوف عن القلب، أمكن أن يأتيه النعاس. وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس، هم المؤمنون الذين ليس

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٤ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين . وأما الطائفة الأخرى الذين ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم، أو ضعف إيمانهم ، فلهذا لم يصيبهم من النعاس، ما أصاب غيرهم ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ وهذا إستفهام إنكاري، أي : مالنا من الأمر أي: النصر والظهور شيء، فأساءوا الظن بربهم، وبدينه، وبنبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة، هي الفيصلة والقاضية على دين الله...[١] .

نعم المنافق خائف؛ خائف من الفضيحة، وخائف من الموت، وخائف من كل شيء، ولذلك لم يؤمنوا بالنعاس، و لم تثق نفوسهم، وتطمئن قلوبهم بوعد الله؛ ولذلك ذهبوا كل مذهب ،وقالوا ماقالوا من الكلام الذي يحمل سوء الظن بالله، بل كانوا يعتقدون أن الله لن ينصر المؤمنين، وأن المشركين سيبيدون المؤمنين وأنها النهاية لهم وهذا الجهل بعينه .

المبحث الخامس عشر: الذي يحكم بغير ما أنزل الله ؛ فهو يحكم بحكم الجاهلية

قال تعالى:﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ج ١ ٤٣٩ .

أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١]

قال ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم... قال الله تعالى :﴿ **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ** ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون . ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء . قال الحسن: من حكم بغير حكم الله ، فحكم الجاهلية .

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، و مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية،ومطلب دم امرىء بغيرحق ليهريق دمه**))[٢] [٣] .

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الديات، باب من طلب دم امرىء بغير حق رقم ٦٨٨٢ (فتح الباري ج ١٢ ص ٢١٠) من حديث ابن عباس .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : وقيل المراد من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها . وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره، والحليف بحليفه ونحو ذلك ، ويلتحق بذلك كل ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه كالطيرة والكهانة وغير ذلك...(1).

حكم الله هو الحكم الأكمل و الأحكم، والأمثل، والأفضل؛ لأنه من عند الحكيم الخبير العليم القدير الحي القيوم... والذي يعدل عنه إلى غيره فلا شك أنه سيعدل إلى الجاهلية الجهلاء، وإلى الجهل المطبق، وإلى العمى والتخبط والضلال .

المبحث السادس عشر: اختلاط النساء بالرجال ، وترك الحجاب، والتبرج : من أمور الجاهلية

قال تعالى :﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾(2).

---

(1) فتح الباري ج12 ص 211 .

(2) سورة الأحزاب، الآيات 32-34 .

قال ابن كثير : قال مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين يدى الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية . وقال قتادة : إذا خرجتن من بيوتكن ، وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج ؛ فنهى الله عن ذلك . وقال مقاتل بن حيان : التبرج : أنها تلقي الخمار على رأسها ، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك التبرج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج...[١] .

وقال القرطبي : معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت ، وإن كان الخطاب لنساء النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى . هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء ؛ كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن ، والإنكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة... فأمر الله تعالى نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – بملازمة بيوتهن، وخاطبهن بذلك تشريفاً لهن، ونهاهن عن التبرج، وأعلم أنه فعل الجاهلية الأولى فقال :﴿ **وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ** ﴾ وحقيقة التبرج إظهار ما ستره أحسن[٢].

إن تكشف المرأة أمام الرجال ، والاختلاط بين الجنسين يؤدي إلى فساد كبير ، وهو ما منعه وحرمه الإسلام وعده من أمر الجاهلية الأولى، والجاهلية الجهلاء .

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٤٠٦ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١٧٩ .

المبحث السابع عشر: المؤمنون التزموا بكلمة التقوى وهى:[لا اله إلا الله] والذين كفروا جعلوا في قلوبهم: [الحمية]؛ حمية الجاهلية

قال تعالى :﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (١)

قال ابن كثير : وذلك حين أبوا أن يكتبوا [بسم الله الرحمن الرحيم]، وأبوا أن يكتبوا : [هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله]، ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾، وهى قول [لا اله إلا الله] كما قال ابن جرير، وعبد الله بن أحمد بسنده من حديث أبيّ بن كعب : سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾، قال: (لا اله إلا الله)(٢) .

وأخرجه الترمذي ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه .

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٧ ص٣٢٦ .

قال المباركفوري : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ ﴾ أي المؤمنين ﴿ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ أي من الشرك وهى [لا اله إلا الله] وأضيف إلى التقوى لأنها سببها ، وبه قال الجمهور ، وزاد بعضهم [محمد رسول الله] وزاد بعضهم [وحده لا شريك له] وقال الزهري : هي [بسم الله الرحمن الرحيم]وذلك أن الكفار لم يقروا بها ، وامتنعوا عن كتابتها في كتاب الصلح الذي كان بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما ثبت ذلك في كتب الحديث والسير ، فخص الله بهذه الكلمة المؤمنين وألزمهم بها والأول أولى ؛لأن كلمة التوحيد هي التي يتقى بها الشرك بالله ويدل عليه حديث أبيّ بن كعب هذا قال: أي النبي – صلى الله عليه وسلم – في تفسير كلمة التقوى [لا اله الا الله] أي هي [لا اله إلا الله] قوله: (هذا حديث غريب) وأخرجه أحمد وابن جرير والدار قطني في الأفراد وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات [(١)].

المبحث الثامن عشر: السب،والشتم، والكلام الفاحش، والسفه، والمقاتلة : من أفعال أهل الجاهلية

أخرج البخاري بسنده من حديث أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « **الصيام جُنة، فلا يرفث ولا يجهل. وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم – مرتين –** » الحديث [(٢)].

(١) تحفة الأحوذي تفسير سورة الفتح ج ٧ ص ١٥٠ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب فضل الصوم رقم ١٨٩٤ (فتح

وأخرجه الترمذي بلفظ ((**... وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم، فليقل : إني صائم**))[1] .

وقال ابن حجر : قوله ((**ولا يجهل**)) أي لا يفعل شيئاً من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك... وللنسائي من حديث عائشة ((وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه))...[2] .

المبحث التاسع عشر: علمنا رسول الله أن نستعيذ بالله أن نفعل بالناس أو يفعل بنا فعل الجهال؛ من الإذاء وإيصال الضرر

أخرج الترمذي بسنده من حديث أم سلمة : أن النبي – صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال : ((**بسم الله توكلت على الله . اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا**)) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[3] .

قال المباركفوري : أي : أمور الدين أو حقوق الله أو حقوق الناس أو في المعاشرة والمخالطة مع الأصحاب أو نفعل بالناس فعل

الباري ج ٤ ص ١٠٣) .

(١) سنن الترمذي، كتاب الصيام، باب فضل الصيام رقم ٧٦٤ ج ٣ ص ١٢٧.

(٢) فتح الباري ج ٤ ص ١٠٤ .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات باب ٣٥ ج ٤ص ٤٩٠ ، وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الدعاء باب ١٨ ، وأبو داوود في سننه كتاب الأدب ١٠٣ ، والنسائي ، وأحمد .

الجهال من الإذاء وإيصال الضرر إليهم . ((أويجهل علينا)) بصيغة المجهول أي : يفعل الناس بنا أفعال الجهال...[١] .

المبحث العشرون : حذر رسول الله من اتخاذ رؤساء جهالاً يُستفتون فَيفتون برأيهم ، فيُضلُّون ويَضلون

أخرج البخاري بسنده من حديث ابن عمرو قال : سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : ((**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جُهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون**))[٢] .

قال ابن حجر : وفي رواية حرملة ((ويبقى في الناس رؤساء جهالا))... وعند الطبراني ((فيصير للناس رؤس جهال)) هذه رواية هشام بن عروة، أما رواية الزهري عن عروة ((بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب العلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم))...[٣] .

إن زينة الأرض العلماء، وهم حياة الناس؛ وكيف يحيا العباد من دون علماء لكنه سيأتي على الناس زمن يقبض الله فيه العلم،

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج ٩ ص ٣٨٥ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإعتصام ، باب ما يذكر من ذم الرأي رقم ٧٣٠٧ (فتح الباري ج١٣ ص ٢٨٢) .

(٣) فتح الباري ج ١٣ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وقبضه ليس انتزاعاً ينتزعه إنما هو بموت العلماء ، فإذا مات العلماء مات العلم معهم ، فيتصدى للفتيا رؤساء جهالاً ؛ فيضلون أنفسهم ويضلون الناس لأنهم غير علماء ، وهذه ثمرة الجهل : الضلال والعمى والتخبط في الظلمات من الرؤساء الذين نصبوا أنفسهم في منزلة العلماء فضلوا وأضلوا ، ومن العامة الذين سألوا هؤلاء الجهال فأضلوهم لأنهم أفتوهم بغير الحق .

المبحث الواحد والعشرون: سؤال النبي – صلى الله عليه وسلم – الله أن يغفر له جهله

أخرج البخاري بسنده من حديث أبي موسى عن النبي – صلى الله عليه وسلم –أنه كان يدعو : ((**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي...**)) الحديث [(١)]

قال ابن حجر : الجهل ضد العلم.. [(٢)] هذا فيه دليل على خطورة الجهل، وأنه ذنب يُستغفر منه؛ وهو المفهوم المخالف لوجوب طلب العلم، والتفقه في دين الله، حتى يُعبد الله على بصيرة .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت (فتح الباري ج ١١ ص ١٩٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر حديث رقم ٧٠ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ١٩٨ .

المبحث الثاني والعشرون: من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات أو قتل تحت رايةٍ عميةٍ مات ميتة جاهلية .

أخرج مسلم بسنده من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((**من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، ثم مات ، مات ميتةً جاهليةً...**)) الحديث .

وأخرج مسلم أيضاً بسنده من حديث جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((**من قتل تحت رايةٍ عميةٍ ، يدعو عصبيةً أو ينصر عصبيةً فَقِتْلَةٌ جاهليةٌ**))[1] .

وهذا فيه دليل على خطورة خلع اليد من طاعة الإمام المسلم أو القتال عصبية أو النصر عصبية ؛ فيموت ، فإن موتته تكون موتة جاهلية ، أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم .

المبحث الثالث والعشرون: الدعوى والنصرة عصبية : دعوى جاهلية

أخرج البخاري بسنده من حديث جابر بن عبد الله قال : كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري : يا للمهاجرين. فسمع ذاك

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة حديث رقم ٥٤ ، ٥٧ ج ٣ ص ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ .

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : ((**مابالُ دعوى جاهلية ؟**)) قالوا : يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال : ((**دعوها فإنها منتنةٌ...**)) الحديث[١] .

قال ابن حجر : الكسع : ضرب الدبر باليد أو بالرجل... وذلك شديد عند أهل اليمن... وقوله « يا للأنصار » هي للاستغاثة أي أغيثوني، وقوله « **دعوها فإنها منتنة** » أي دعوة الجاهلية... ((**ومنتنة**)) من النتن أي : أنها كلمة قبيحة خبيثة...[٢] .

جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهذه العقيدة والشريعة؛ نقية صافية خالية من كل الشوائب؛ الولاء فيها لله ولرسوله، الأخوة فيها أخوة الدين، لا عصبية، ولا حمية، للعشيرة أو للقبيلة، أو لأي أمر من الأمور غير الدين، كل أمور الجاهلية وضعها الإسلام، وحذر منها، وحاربها... حتى يبقى المجتمع المسلم مجتمعاً طاهراً نظيفاً نقياً خالياً من كل المنغصات، ومن كل ما يؤثر على الأخوة والمحبة في الله، ولذلك جعل الانتصار للقبيلة أو للعشيرة من أمور الجاهلية التي لا يقبلها الإسلام بأي حال، وهذا قمة في تنقية النفوس والمجتمعات من أدران الجاهلية من عصبية وحمية وغير ذلك .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ٥ رقم ٤٩٠٥ (فتح الباري ج ٨ ص٦٤٩ .

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٦٤٩ .

المبحث الرابع والعشرون : المعاصي من أمر الجاهلية

قال البخاري : المعاصي من أمر الجاهلية . ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((**إنك امرؤٌ فيك جاهلية**)) وقول الله تعالى :**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾** واخرج بسنده من حديث المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلة وعلى غُلامه حُلة ، فسألته عن ذلك فقال : إني ساببتُ رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((**يا أبا ذرّ ، أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية . إخوانكم خولكم . جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فاعينوهم**))(١)

قال ابن حجر : ...كل معصية تؤخذ من ترك واجب أو فعل محرم فهي من أخلاق الجاهلية ، والشرك أكبر المعاصي...

وأما قصة أبي ذر فإنما ذكرت ليستدل بها على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك لا يخرج عن الإيمان بها سواء كانت من الصغائر أم من الكبائر، وهو واضح... واستدل أيضاً بقوله - صلى الله عليه وسلم - لأبي ذر ((**فيك جاهلية**)) أي

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية (فتح الباري ج١ ص ٨٤) .

خصلة جاهلية ، مع أن منزلة أبي ذر من الإيمان في الذروة العالية، وإنما وبخه بذلك – على عظيم منزلته عنده تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك...[1] .

المعلم والمربي الأول، ربى أصحابه تربية فريدة؛ فخلعوا على عتبة الإسلام كل أمور الجاهلية كبيرها وصغيرها، فكانوا خير القرون على الإطلاق؛ على المستوى العام، وعلى مستوى الأفراد ذكوراً وإناثاً كباراً وصغاراً، فرضى الله عنهم أجمعين .

المبحث الخامس والعشرون: التفاخر بالأحساب من عبيَّة الجاهلية

أخرج أبو داود بسنده من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجالٌ فخرها بأقوام، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**))[2] .

---

(١) فتح الباري ج ١ ص ٨٥ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، ج ٤ ص ٣٣١ رقم ٥١١٦.

وذكره الألباني ثم قال : حسن، وعزاه إلى مسند أحمد، وأبي داود[١] .

قال العظيم آبادي : قال في القاموس : الفخر ويحرك والفخار والفخارة التمدح بالخصال كافتخار وتفاخر وأفخر بعضهم على بعض انتهى والأحساب : جمع حسب وهو ما تعده من مفاخر آبائك... و (عبية الجاهلية) أي : فخرها وتكبرها ونخوتها، قال الخطابي : العبية :الكبر والنخوة ، وأصله من العب وهو الثقل يقال: عُبية وعِبية بضم العين وكسرها (مؤمن تقي وفاجر شقي) قال الخطابي : معناه أن الناس رجلان مؤمن تقي فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيباً في قومه، وفاجر شقي فهو الدني وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً أهـ وقيل معناه أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال[٢] .

إن التفاخر بالأحساب من فعل أهل الجاهلية الذين ليس لهم منهج صحيح، فهم فوضى؛ الأهواء والعواطف هي المتحكمة فيهم نظامهم نظام الغاب، القوي يفتخر ويتعالى على الضعيف...

(١) صحيح الجامع رقم ١٧٨٣ .

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي ج ١٤ ص ٢١، ٢٢ .

لكن الإسلام جعل الناس صنفين فقط مؤمنون أتقياء، وفجار أشقياء ، وحرم عليهم التفاخر بالأباء ودعوى الجاهلية؛ لأن أصل الجميع لآدم .

المبحث السادس والعشرون: ما وضعه رسول الله في حجة الوداع من أمور الجاهلية

أخرج مسلم بسنده من حديث جابر بن عبد الله، في رواية حجة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الطويل، وفيه، فخطب الناس وقال : ((**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم . كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميّ موضوع. ودماء الجاهلية موضوعة . وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث . كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع . وأول رباً أضع ربانا؛ ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله** ..)) الحديث...[1] .

قال النووي : ...في هذه الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي رقم ١٤٧ ج ٢ ص ٨٨٩ وأخرجه الترمذي في السنن بنحوه ، كتاب التفسير ، باب سورة التوبة حديث رقم ٣٠٨٧ ج ٥ ص ٢٧٣ .

التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها وأن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله وإلى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام . وأما قوله صلى الله عليه وسلم – ((**تحت قدمي**)) فإشارة إلى إبطاله... قوله ((**أنه موضوع كله**)) معناه الزائد على رأس المال كما قال تعالى: ﴿ **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ** ﴾[1]

طهر النبي – صلى الله عليه وسلم – المجتمع الإسلامي من جميع أمور الجاهلية سواء كانت في الدماء ، أو في المعاملات المالية ، أو الاجتماعية أو غيرها من الحقوق العامة والخاصة ، وكان ذلك في اجتماع عظيم للمسلمين يوم عرفة في حجة الوداع .

المبحث السابع والعشرون: خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا

أخرج البخاري بسنده من حديث أبي هريرة قال : قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم – : من أكرم الناس ؟ قال : ((**أكرمهم أتقاهم**)) قالوا : يا نبي الله ليس عن هذا نسألك . قال : ((**فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**)) قالوا: ليس عن هذا نسألك . قال : ((**أفعن معادن العرب تسألوني ؟**))

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ١٨٢ ، انظر تحفة الأحوذي ج ٨ ٤٨٢ .

قالوا : نعم . قال : ((**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**))[1] .

قال ابن حجر : القسمة رباعية :

١- فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرته خصوصاً بالإنتساب إلىالآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً .

٢- ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفاً في الجاهلية واستمر مشروفاً في الإسلام فهذا أدنى المراتب .

٣- القسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه و لم يكن شريفاً في الجاهلية ، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه

٤- والقسم الرابع من كان شريفاً في الجاهلية ثم صار مشروفاً في الإسلام فهذا دون الذي قبله ، فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل[2] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ١٤ حديث رقم ٣٣٧٤ (فتح الباري ج ٦ ص ٤١٤) .

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٤١٥ .

إنـه خيـار كـريم فمـن كـان في الجاهـلية يـنفر مـن الخـبائث والمحـرمات الـتي بفطـرة الإنسـان وبطـبعه يكرهها مع أصالة وشرف فهـذا طهـر ينضـاف إليـه ما دعت إليه الشريعة الغراء من طهر وعفة ونقاء وصفاء وهذا شرف آخر ، وزيادة على هذا كله الفقه في دين الله ، لاشك أنه سيصبح أكرم الناس ، نسأل الله من فضله العظيم .

المبحث الثامن والعشرون: فضل العلم و قبح الجهل

الجهل ضد العلم وفيما يلي نعقد مقابلة بين العلم والجهل :

العلم	الجهل
العلم يفرق به بين الشك واليقين	الجهـل لا يفـرق بـه بين الشك واليقين
العلم يفرق به بين الغي والرشاد	الجهـل لا يفـرق بـه بـين الغـي والرشاد
بالعلم يعرف الله ويعبد	بالجهل لا يعرف الله ويعبد
بالعلم يذكر الله ويوحد	بالجهل لا يذكر الله ويوحد
بالعلم يحمد الله ويمجد	بالجهل لا يحمد الله ويمجد
بالعلم اهتدى إليه السالكون	بالجهل ضل إليه السالكون
ومـن طـريق العـلم وصـل إليـه الواصلون	ومـن طريق الجهل لم يصل إليه الواصلون

العلم	الجهل
ومن باب العلم دخل عليه القاصدون	ومن باب الجهل لم يدخل عليه القاصدون
بالعلم تعرف الشرائع والأحكام	بالجهل لا تعرف الشرائع والأحكام
بالعلم يتميز الحلال من الحرام	بالجهل لا يتميز الحلال من الحرام
به توصل الأرحام وتعرف مراضي الحبيب	به لا توصل الأرحام ولا تعرف مراضي الحبيب
العلم حياة القلوب ونور البصائر	الجهل موت القلوب وظلمة البصائر
العلم شفاء الصدور ورياض العقول	الجهل مرض الصدور وإغلاق العقول
العلم لذة الأرواح وأنس المستوحشين	الجهل مرارة الأرواح ووحشة المستوحشين
العلم دليل المتحيرين	الجهل محير المتحيرين

العلم ما قام بدليل. ورفع الجهل

ومعنى ذلك : أن للعلم علامة قبله، وعلامة بعده؛ فعلامته

قبله : ما قام به الدليل، وعلامته بعده : رفع الجهل، وبهذا يتضح فضل العلم وقبح الجهل [١] .

المبحث التاسع والعشرون: الجهل له ظلمة تأتي بالحزن وتذهب بالسرور

الجهل نوعان :

١- جهل علم ومعرفة .

٢- جهل عمل وغيّ .

وكلاهما له ظلمة ووحشة في القلب ، وكما أن العلم يوجب نوراً وأنساً فضده يوجب ظلمة ويوقع وحشة ، وقد سمى الله سبحانه وتعالى ((العلم)) الذي بعث به رسوله نوراً ، وهدى وحياة . وسمى ضده : ظلمة وموتاً وضلالاً .

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ ﴾[٢] .

وقال تعالى :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ﴾[٣] .

---

(١) أنظر مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٦٩ – ٤٧١ بتصرف .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٧ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٢٢ .

وقال تعالى :﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾[1] .

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝ ﴾[2] .

وقال تعالى :﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾[3] .

وقال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾[4] .

فجعله ((روحاً)) لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، و ((نوراً)) لما يحصل به من الهدى والرشاد...[5] .

ومثَّل هذا النور في قلب المؤمن: ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ١٥، ١٦ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٧٤ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .

(٤) سورة الشورى، الآية ٥٢ .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ج ٣ ص ١٦٢ بتصرف بسيط .

نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[١]

ومثَّل حال من فقد هذا النور : بمن هو في ﴿ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝ ﴾[٢] [٣].

وقال ابن القيم : الجهل موت لأصحابه كما قيل :

وفي الجهل – قبل الموت – موت لأهله	وأجسامهم قبل القبور قُبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم	فليس لهم حتى النشور نشور

فإن الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن، فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض قال تعالى:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾[٤]، وقال تعالى :﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝ ﴾[٦]، وشبههم – في موت قلوبهم – بأهل القبور؛ فإنهم قد ماتت

---

(١) سورة النور، الآية ٣٥ .

(٢) سورة النور، الآية ٤٠ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ج ٣ ص ١٦٣ .

(٤) سورة يس، الآيتان ٦٩، ٧٠ .

(٥) سورة الروم، الآية ٥٢ .

(٦) سورة فاطر، الآية ٢٢ .

أرواحهم، وصارت أجسامهم قبوراً لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور، كذلك لا يسمع هؤلاء. وإذا كانت الحياة هي الحس والحركة، وملزومهما، فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان، و لم تتحرك له : كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيهاً لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح... والمقصود : أن العلم حياة القلوب من الجهل، فالقلب ميت، وحياته بالعلم والإيمان [1].

المبحث الثلاثون: كفر النصارى نشأ من جهلهم بالحق وضلالهم فيه

قال تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [2]

قال ابن كثير : ...غير صراط المغضوب عليهم ، الذين فسدت إرادتهم ، فعلموا وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق ، وأكد الكلام بلا ، ليدل على إن ثم مسلكين فاسدين، وهما طريقتا : اليهود والنصارى [3].

قال ابن القيم : ... ووبخ النصارى بالضلال والجهل الذي

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ج ٣ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ بتصرف بسيط .

(٢) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٥ .

هو عدم العلم بالحق؛ فالشقاء والكفر ينشأ من عدم معرفة الحق تارة، ومن عدم إرادته والعمل به أخرى فكفر اليهود نشأ من عدم إرادة الحق والعمل به وإيثار غيره عليه بعد معرفته . فلم يكن ضلالاً محضاً . وكفر النصارى نشأ من جهلهم بالحق وضلالهم فيه... ثم لما كان الهدى والفلاح والسعادة لا سبيل إلى نيله إلا بمعرفة الحق وإيثاره على غيره وكان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق . والبغي يمنعه من إرادته كان العبد أحوج شيء إلى أن يسأل الله تعالى كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم تعريفاً وبياناً وإرشاداً وإلهاماً وتوفيقاً وإعانة؛ فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مريداً له قاصداً لاتباعه، فيخرج بذلك عن طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه على عمد وعلم ، والضالين الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال ، وكان السلف يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى... فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، آمين إنه قريب مجيب [1].

المبحث الواحد والثلاثون: سمى الله العلم نوراً، وسمى الجهل ظلمة

قال تعالى :﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ج ٢ ص ٣٢ ط دار الكتاب العربي .

إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ ﴾[1]

قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام ، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير ، وأن الكافرين إنما وليهم الشياطين تُزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ، ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والأفك... ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات ، لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة [2] .

قال ابن القيم : ... وكما أن العلم يوجب نوراً وأنساً، فضده يوجب ظلمة ويوقع وحشة، وقد سمى الله سبحانه وتعالى ((العلم)) الذي بعث به رسوله: ((نوراً وهدى وحياة)) . وسمى ضده : ((ظلمة وموتاً وضلالاً...)) [3] .

وقال ابن سعدي : أخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله، وصدقوا إيمانهم، بالقيام بواجبات الإيمان، وترك كل ما ينافيه، أنه وليهم، يتولاهم بولايته الخاصة، ويتولى تربيتهم، فيخرجهم من ظلمات الجهل

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٦٢ .

(٣) مدارج السالكين ج ٣ ص ١٦٢ .

والكفر والمعاصي والغفلة والإعراض، إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة والإقبال الكامل على ربهم، وينور قلوبهم بما يقذفه فيها من نور الوحي والإيمان، و ييسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى .

وأما الذين كفروا ، فإنهم لما تولوا غير وليهم ، ولاهم الله ما تولوا لأنفسهم ، وخذلهم ، ووكلهم إلى رعاية من تولاهم ، ممن ليس عنده نفع ولا ضر ؛ فأضلوهم ، وأشقوهم ، وحرموهم هداية العلم النافع ، والعمل الصالح ، وحرموهم السعادة ، وصارت النار مثواهم ، خالدين فيها مخلدين ، اللهم تولنا فيمن توليت [1] .

المبحث الثاني والثلاثون: من أسباب فتنة القبر:الجهل؛ حيث يجيب ((بلا أدري))

أخرج البخاري وغيره بسنده من حديث أنس بن مالك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ((**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد – صلى الله عليه وسلم – . فأما المؤمن فيقول : اشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً .. وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري، كنت أقول ما**

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ج ١ ص ٣١٨ ط السعدية .

يقول الناس . فيقال له : لا دريت ولا تليت . فيضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين))[(١)]

قال ابن حجر : وفي حديث البراء ((فيقولان له: من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري)) وهو أتم الأحاديث سياقاً... قوله ((**لا أدري**)) المعنى لا دريت ولا اتبعت من يدري .. وقال الأصمعي : أي لا دريت ولا استطعت أن تدري، ووقع عند أحمد من حديث أبي سعيد ((لا دريت ولا اهتديت)) [(٢)] وفي رواية البراء عند أبي داوود : بعد أن يقول ((**لا أدري**)) قال : ((فينادي مناد : أن كذب عبدي فأفرشوه من النار...)) الحديث [(٣)] .

ويتضح من الروايات أنه عاش حياته جاهلاً، لم يبذل أدنى جهداً في التعلم، لم يكلف نفسه أي عناء في معرفة سر وجوده في الحياة، عاش عيشة البهائم، ومات ميتة البهائم، وانتبه بعد موته، فأجاب عن الأسئلة الثلاثة في القبر بلا أدري، وفي رواية : سمعت

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، رقم ١٣٧٤ (فتح الباري ج٣ ص ٢٣٢) .

(٢) فتح الباري ج ٣ ص ٢٣٩ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب المسئلة في القبر ج ٤ ص ٢٤٠ .

الناس يقولون شيئاً فقلته، لم يعمل عقله الذي وهبه الله، لم يتفكر ويتذكر ويتأمل في نفسه وفي الكون من حوله، فكانت هذه النتيجة المخزية، وكان ذلك العذاب الأليم، نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة .

المبحث الثالث والثلاثون: من نواقض الإسلام : الجهل بدين الله وذلك؛ بالإعراض عنه تعلماً وعملاً

قال تعالى:﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾** ﴾[1]

قال ابن كثير : أي : لا أظلم ممن ذكّره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها .

قال قتادة : إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرّة، وأعوز أشد العوز، وعظم من أعظم الذنوب. ولذلك قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك :﴿ **إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾ أي : سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الإنتقام...[2] .

قال ابن باز : وذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد :

(١) سورة السجدة، الآية ٢٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٣٧١ .

أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً عن الإسلام؛ ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض... العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾... ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره ...[1] .

وقال محمد الأنصاري : فصل في نواقض الإسلام – أعاذنا الله من ذلك...

الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به ولا يريد بعلمه إلا الحياة الدنيا من شهادة ووظيفة كحال الأكثرين من الطلاب الدارسين لدى المستشرقين اليوم [2].

إن الإعراض عن العلم الشرعي، وعدم تعلمه من أعظم الذنوب؛ لأنه هو النور الذي ينير للعبد طريقه إلى الله، ولو أراد الإنسان الوصول إلى الله من غير الطريق الذي جاء به رسوله – صلى الله عليه وسلم – فلن يصل، بل سيصل إلى جهنم بأي طريق آخر ولذلك جعل العلماء الإعراض عن دين الله علماً وعملاً من

(١) العقيدة الصحيحة لابن باز ص ٢٧-٣٠ .

(٢) اصول الدين لمحمد بن عبد الوهاب ترتيب محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري .

نواقض الإسلام لخطورة الجهل وما يترتب عليه من خسران في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية .

المبحث الرابع والثلاثون : الجهل يمنع تحقيق معنى ((لا اله إلا الله))

اشتملت أقسام التوحيد الثلاثة على معنى ((لا اله إلا الله)) وهو : لا معبود بحق إلا الله . ولا يمكن تحقيق هذا المعنى إلا إذا أتى العبد بشروط ((لا إله إلا الله)) وشروطها ثمانية :

أولاً : العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، قال الله عز وجل: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ** ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ **إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ** ﴾[3] أي بلا اله إلا الله، ﴿ **وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم . وقال تعالى :﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾** ﴾[4]، وقال تعالى :﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾** ﴾[5]، وقال تعالى:

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨ .

(٣) سورة الزخرف، الآية ٨٦ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨ .

(٥) سورة الزمر، الآية ٩ .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] .

وفي الصحيح عن عثمان قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: ((**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**))[2] [3] إذا تخلف شرط ((العلم)) فإنه ((الجهل)) وإذا لم يزيح العلمُ الجهلَ – وخاصة في العقائد- فإنه الكفر والضلال والشقاء والعناء ، وإذا لم يتحقق هذا الشرط ؛ فلا يمكن تحقيق معنى ((لا اله إلا الله)) ولا يمكن أن ينتفع قائلها بها في الدنيا والآخرة؛ من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار .

المبحث الخامس والثلاثون: هل الجهل يؤثر على صحة الإسلام أو فساده وبطلانه؟، ودائرة تأثيره على التكليف ، وما يصلح أن يكون فيه عذراً ومالا يصلح [4]

قال تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾[5] .

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٣ .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٤٣ .

(٣) أنظر معارج القبول للحكمي ج ١ص ٣٧٨ .

(٤) هذا المبحث مستفاد من البحث الذي أعده الشيخ / أبو عبد الله عبد الرحمن ابن عبد الحميد بعنوان ((الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد)) وهومنشور ضمن المباحث التي نشرت تحت عنوان: ((عقيدة الموحدين)) للشيخ / عبد الله ابن سعدي الغامدي العبدلي .

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٧٣ .

أي : الذي لا يعلم بحقيقة حالهم ، وهو المعنى الأول من معاني الجهل ((فقد العلم))، وهو الذي سيكون مدار هذا المبحث عليه .

أولاً :تأثير عارض الجهل على التوحيد أصل الدين هو معرفة الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له . وهذا لا عذر فيه بالجهل، سواءً وجدت مظنة العلم – كدار الإسلام – أم لم توجد – كدار الحرب – وسواءً ثبتت إقامة الحجة أم لم تثبت. ويجب اعتبار الجاهل فيه كافراً في ظاهر الأمر . وهذا القدر متفق عليه بين الأئمة قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾** ﴾[1]

وقال – صلى الله عليه وسلم – : ((**إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً : لو أن لك ما في الأرض من شيء ، كنت تفتدي به ؟ قال : نعم . قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي ، فأبيت إلا الشرك**))[2] .

(١) سورة الأعراف، الآيات ١٧٢– ١٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري بلفظه من حديث أنس ، في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته رقم ٣٣٣٤ (فتح الباري ج ٦. ص ٣٦٣)، ومسلم في الصحيح، المنافقين رقم ٥١ بنحوه .

قال ابن كثير على الآية : يخبر تعالى أنه استخرج ذرّية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا اله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى : **﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾**(١) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((**كل مولود يولد على الفطرة – وفي رواية : على هذه الملة – فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تولد البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء**)) ؟

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((**يقول الله : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم، عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**))... وذهب طائفة من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد.. وأن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك... وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ...(٢) .

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٠ ، ٥٠١ .

وقال القرطبي : قوله: ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ أي من قول بني آدم، والمعنى شهدنا أنك ربنا وإلهنا... ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ بمعنى لست تفعل هذا ولا عذر للمقلد في التوحيد [١] .

قال ابن القيم : إنه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليهم بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ أي فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الإقرار منهم أن الله ربهم وخالقهم، وهذا كثير في القرآن روى مسلم من حديث عائشة قالت: يا رسول الله أن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين فهل ذلك ينفعه ؟ قال : ((لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين))[٢].

وروى مسلم في صحيحه : عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : ((في النار)) قال : فلما قفّى الرجل دعاه فقال : ((إن أبي وأباك في النار)) .

فيتضح من الأحاديث السابقة أن جهل من مضى قبل بعثة الرسول- صلى الله عليه وسلم – بالتوحيد، لم يكن عذراً لهم سواء في الحكم عليهم في الدنيا بظاهر أمرهم، أو في حقيقة أمرهم عند الله

(١) تفسير القرطبي ج ٧ص ٣١٨ .

(٢) عقيدة الموحدين ص ٣٢٧ –٣٣١ .

تعالى . وذلك بإخبار الرسول عنهم أنهم في النار ..

قال الحكمي في معارج القبول : إن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة : كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار ، وكفر نفاق . فأحدها يخرج من الملة بالكلية، – إلى أن يقول – : ((وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق، فكفر الجهل والتكذيب)) .

وقال ابن القيم : والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل، فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً؛ فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عناداً أو جهلاً وتقليداً لأهل العناد أ هـ [1] .

ونخلص إلى أن الجهل يؤثر على صحة الإسلام سلباً بل يفسد الإسلام ويبطله؛ لكون هذا الجاهل أشرك مع الله فلا يعذر لجهله؛لأنه مفطور على الملة أولاً، ولأنه أعرض عن العلم والعمل ثانياً ، ولأن رسول الله أخبرنا عن الذين كانوا في الجاهلية و لم يتبعوا الرسل السابقين أنهم في النار، أي كفار . فالجاهل بالتوحيد صاحبه

---

(1) عقيدة الموحدين ص ٣٣١- ٣٣٥ .

في الدنيا كافر، وعند الله كافر؛ لأنه قد أخذ عليه العهد والميثاق في عالم الذر ومع ذلك أشرك فهو كافر .

ثانياً : تأثير عارض الجهل في الإسلام على الحقيقة أي في حقيقة التوحيد عند الله في الآخرة من ثواب وعقاب اختلف العلماء في هذا الأمر فمنهم من قال : أن العقل وحده هو مناط التكليف في هذا، وأن الإنسان قد فطر على إدراك التوحيد وحده فيجب عليه أن يصل إلى الحق بالنظر والاستدلال، وأنه سيحاسب في الآخرة على هذا الأساس حتى ولو لم يأته رسول من الله، ويدخل في هذا ما أطلق عليهم « بأهل الفترة » وهم غير معذورين .

وذهب آخرون : إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً في الدنيا أو في الآخرة إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه؛ وبالتالي فأهل الفترة عند أصحاب هذا المذهب معذورون .

وذهب فريق ثالث : إلى عدم وجود من لم تبلغه دعوة التوحيد في الدنيا قبل موته بأية صورة من الصور، وذلك لعموم الأدلة القرآنية الدالة على إرسال الرسل وإقامة الحجة في الدنيا على كل شخص ، وأن الدنيا هي دار التكليف ولا تكليف بعدها .

وكل فريق له أدلته من الكتاب والسنة والمعقول على التفصيل الذي ذكره المؤلف في بحث « الجواب المفيد في حكم جاهل

التوحيد)) ثم يخلص المؤلف إلى النتيجة التالية :

ويجب أن نلاحظ أخيراً، أن كل ما نقلناه من خلاف بين العلماء في هذا الفصل، إنما هو في أحكام الآخرة فقط، أي في مآل الجهل يوم القيامة في أحكام الثواب والعقاب عند الله سبحانه وتعالى، وأما بالنسبة لأحكام الدنيا فلا خلاف بين العلماء في اعتباره كافراً في ظاهر أمره، وذلك لجريان الأحكام في الدنيا على هذا الأساس .

يقول ابن القيم : والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله ، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل ، فهذا مقطوع به في جملة الخلق ، أما كون زيد من الناس بعينه أو عمرو قامت عليه الحجة أم لا ؟ فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد :

١- أن كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر .

٢- وأن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول .

هذا في الجملة ، والتعيين موكول إلى الله، وهذا في أحكام الثواب والعقاب .

وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر أ هـ .

ثالثاً : تأثير عارض الجهل في أصول الشريعة[١] .

---

(١) انظر عقيدة الموحدين ص ٣٤٧ .

بمعنى : هل الجاهل بأحكام أصول الشريعة مثل : المتواتر من الأخبار، والصفات الثابتة التي لا تعرف إلا بالعقل، ومواقع الإجماع، والمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الفروع يكفر ؟

والإجابة على هذا السؤال : لا يكفر الجاهل به ((قبل إقامة الحجة عليه)) على تفصيل :

فإن كان المكلف في مكان تتوفر فيه مظنة العلم - كدار الإسلام - كان آثماً و لم يعذر بجهله، ويقام عليه الحد إن انبنى على قوله عمل فيه حد، سواء كان متأولاً أم غير متأول، وإن أ نكر : كفر وإن كان المكلف في مكان لا تتوفر فيه مظنة العلم - كدار الحرب - لم يكن آثماً وعذر بجهله، فإن أقيمت عليه الحجة فأنكر، كفر بذلك . أما من كان في مكان أوفي حال هو مظنة العلم، فيكفي فيه إمكان العلم ، ولا يشترط تحقق العلم فعلاً .

لقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**))[١]، قال مالك : ((الجاهل في الصلاة أو في سائر العبادات كالمتعمد لا كالناسي)) وقال الشافعي عن الفروع التي اشتهرت وعرفت من المتواتر وغيرها : ((لا يسع أحداً غير مغلوب على عقله جهلها في دار الإسلام)) القاعدة العامة : [سقوط العذر بالجهل في

(١) حديث صحيح ، ذكره الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٨٠٨ .

وجود مظنة العلم] فإن قامت الحجة على جاهل هذه الأمور؛ سواءً الجاهل بها حيثما تتوفر مظنة العلم ((الآثم الغير معذور))، أما الجاهل بها حيث لا تتوفر مظنة العلم ((المعذور الغير الآثم)) كدار الحرب أو الناشيء في بادية بعيداً عن المسلمين مثلاً فأنكر أياًّ منها بعد بيان الحجة والإعلام بالدليل، كان كافراً بلا خلاف . والمدار في كفر منكرها بعد العلم بها هو أن منكرها إنما ينكر ما ثبت بصورة قطعية وقطعي الثبوت وقطعي الدلالة، والقواعد القطعية في أصول الشريعة التي ثبتت قطعيتها بالنص أو بالاستقراء الكلي للنصوص ، وكل ما هو في مقام القطعية مثلها، كالمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الفروع مثل تحريم الخمر والزنا، ووجوب الصوم والحج والزكاة؛ هو الذي يكفر منكره بلا خلاف...

قال ابن القيم : ومن جحد فرضاً من فروض الإسلام أو تحريم محرم من محرماته ، أو صفة وصف الله بها نفسه أو خبراً أخبر الله به... جهلاً أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به... وقال ابن تيمية بعدم تكفير المعين إلا بعد إقامة الحجة عليه. أما من أنكر أمراً مما ذكر فيعتبر كفراً، إلا في حالة عدم وجود مظنة العلم فيعذر الجاهل في هذه الأمور، لأنها تحتاج كلها إلى الإبلاغ بشرع فتقام الحجة أولاً بالشكل الواضح القاطع، فإذا أنكر بعدها كفر...

وعلى هذا المعنى تتنزل كل أقوال ابن تيمية في التوقف عن تكفير الجهال بأعيانهم حتى تقام الحجة عليهم أولاً؛ وخاصة في المسائل الخفية، وليس في كل الأمور وتحت أي ظرف... قال ابن تيمية : أنا من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية ، إلا إذا علم أنه قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً تارة وعاصياً أخرى أهـ .

ونخلص إلى أن من أنكر من الدين ما هو معلوم بالضرورة جهلاً؛ فإن كان في مكان تتوفر فيه مظنة العلم وكان هذا الذي أنكره مما اشتهر وعُلم لدى الخاصة والعامة؛ فهو كافر، وإن كان من الأمور التي ليست بمشتهرة فهو آثم بجهله و يُعلم . فإن عاند فهو كافر .

وإن كان في مكان لا تتوفر فيه مظنة العلم؛ فهو أثم بجهله ،وتقام عليه الحجة بالتعليم، سواء كانت المسألة معلومة ومشتهرة أو لم تكن كذلك ، فإن عاند فهو كافر والله أعلم .

رابعاً : تأثير عارض الجهل في الأصول الاعتقادية .

قال المؤلف : وهي الأمور التي تعتبر من أصول الأعتقاديات عند أهل السنة، ولكنها لم تثبت بطريقة قطعية، فهي ظنية الثبوت عند البعض .

وما كان مثل هذا فلا يكفر جاهلة قبل إقامة الحجة عليه، والجمهور على عدم تكفيره حتى لو أنكره بعد إقامة الحجة عليه – وذلك لعدم قطعية الدليل – بل يعتبر مبتدعاً أو فاسقاً أهـ [1] .

وما ذهب إليه المؤلف –وفقه الله – قد لا يوافق عليه حيث أن خبر الآحاد إذا توفرت فيه شروط الصحة فإنه يفيد العلم اليقيني لا الظني – كما تقرر عند جملة من المحققين ومنهم ابن القيم –[2]، لأن الحديث الصحيح شرع، والشرع ليس بظن، ثم إن أحاديث الآحاد كما أنها تفيد العلم اليقيني فهي تفيد اليقين إذا تلقتها الأمة بالقبول أو احتفت بها قرائن أو تسلسلت بالأئمة أو وردت من أكثر من طريق .

قال ابن القيم في معرض الكلام على أن الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقيدة وغيرها هو المجمع عليه وهو قطعي الثبوت وله حكم المتواتر قال : « فهذا الذي اعتمده نفاه العلم عن أخبار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا المعتزلة والجهمية والرافضة

---

(١) عقيدة الموحدين ص ٣٥٤ .

(٢) انظر أصول الإعتقاد للدكتور / عمر الأشقر ، وقد أورد أكثر من عشرين دليلاً أوردها ابن القيم على أن أحاديث الآحاد تفيد اليقين .

والخوارج الذين انتهكوا هذه الحرمة وتبعوا بعض الأصوليين...))[١]

والقائلون بإفادتها العلم والاحتجاج بها في العقائد كثير من السلف والخلف ومنهم :

داود الظاهري، وابن حزم، وابن طاهر المقدسي، والحسين الكرابيسي، والحارث المحاسبي، وهو قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد، وأختاره من المتأخرين: صديق خان، ومن المعاصرين :أحمد شاكر، ومحمد الألباني، وصبحي الصالح...[٢].

وإذا تقرر هذا وثبت فإن من جهل الأصول الإعتقادية أو بعضها وأنكرها، سواء ثبتت بالتواتر أو بالآحاد، وهو في مكان تتوفر فيه مظنة العلم، وهي من الأمور المعلومة والمشتهرة للعامة والخاصة فهو كافر؛ كما تقرر ذلك في أصول الشريعة في المبحث السابق ومن جهل وأنكر بعض الأمور في الأصول الإعتقادية والتي ليست بمشتهرة، فإنه تقام عليه الحجة بالتعليم وبيان الدليل، فإن عاند فهو كافر . ومن جهل وأنكر الأصول الإعتقادية أو بعضها وهو في مكان لم تتحقق فيه مظنة العلم، سواء كانت هذه الأمور معلومة ومشتهرة أم لا؛ فإنه تقام عليه الحجة بالتعليم وبيان الدليل ،فإن عاند

(١) أصول الإعتقاد ص ٤٢، وعزاه الأشقر الى الصواعق المرسلة ج٢ ص ٤٧٤ .

(٢) أصول الإعتقاد ص٣٩ .

فهو كافر أما من جهل و أنكر شيئاً مما ذكر متأولاً، فإنه تقام عليه الحجة بالتعليم وبيان الدليل، فإن أصر وعاند فهو كافر بجهله وتأويله ثم إصراره وعناده ، وعدم تسليمه .

ثم نختم هذا المبحث والذي نسأل الله أن يجزي أخانا الشيخ / أبو عبد الله عبدالرحمن بن عبد الحميد خير الجزاء، وأن يجعله في ميزان حسناته؛ نختمه بفتوى صادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية برقم ٩٢٥٧ وتاريخ ٢٢/١٢/١٤٠٥هـ .

والسؤال : هل كل من أتى بعمل من أعمال الكفر أو الشرك يكفر – علماً بأنه أتى بهذا الشيء جاهلاً – هل يعذر بجهله أم لا يعذر ؟ وما هي الأدلة بالعذر أو عدم العذر ؟

الجواب : لا يعذر المكلف بعبادته غير الله أو تقربه بالذبح لغير الله أو نذره لغير الله ونحو ذلك من العبادات التي هي من اختصاص الله إلا إذا كان في بلاد غير إسلامية و لم تبلغه الدعوة فيعذر لعدم البلاغ لا لمجرد الجهل لما رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**)) فلم يعذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من سمع ومن يعيش في بلاد إسلامية قد سمع بالرسول

– صلى الله عليه وسلم – فلا يعذر في أصول الإيمان بجهله .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الأعضاء

عبدالله بن قعود عبدالله بن غديان عبدالرزاق عفيفي عبدالعزيز بن باز[(١)]

المبحث السادس والثلاثون: احذروا فتنة العابد الجاهل

قال ابن القيم : وأما العابد الجاهل ففتنته من إعراضه عن العلم وأحكامه وغلبةُ خياله وذوقه ووجده وما تهواه نفسه . ولهذا قال سفيان بن عيينه : احذروا فتنة العالم الفاجر ، وفتنة العابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فهذا بجهله يصدُّ عن العلم وموجبه ، وذاك بغيّه يدعو إلى الفجور .

وقد ضرب الله سبحانه مثل النوع الآخر بقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[(٢)]

ومن الكلام الباطل الذي يقوله العباد الجهال : نحن نأخذ

---

(١) عقيدة الموحدين ص ٤٥٨، ٤٥٩ .

(٢) سورة الحشر، الآيتان ١٦، ١٧، الفوائد لابن القيم ص ١٨٩ .

علمنا من الحي الذي لا يموت، وأنتم تأخذونه من حي يموت وقول آخر وقد قيل له : ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق ؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق، من يسمع من الخلاق ؟ وقول آخر: العلم حجاب بين القلب وبين الله عز وجل . وقول آخر: إذا رأيت الصوفي يشتغل بـ " أخبرنا "و " حدثنا " فاغسل يدك منه . وقول آخر: لنا علم الحرف، ولكم علم الورق . وهذا كلام فيه صد عن دين الله وعن كلام الله، وعن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال ابن القيم : ومن فارق الدليل، فقد ضل سواء السبيل . ولا دليل إلى الله والجنة، سوى الكتاب والسنة . وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم، والشيطان الرجيم... ثم قال : وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتقيد بهما : فهو من لدن النفس والهوى والشيطان فهو لدني شيطاني... وهو ثمرة الإعراض عن الوحي ، وتحكيم الهوى والشيطان... [1]

المبحث السابع والثلاثون: الإنسان تعترضه الآفات فيخلف علمه الجهل

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، وقال

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٦٨ – ٤٧٧ .

(٢) سورة لقمان، الآية ٢٣ .

سبحانه : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[(١)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[(٢)] وقال :﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[(٣)]

الله سبحانه وتعالى هو العليم وهو الذي يوصف بالعلم المطلق، وهو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، وهو العلم على الحقيقة، وهو الذي أحاط علمه سبحانه بكل شيء... أما الآدميون – وإن كانوا يوصفون بالعلم – فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالماً بالفقه غير عالم بالنحو، وعالماً بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور...[(٤)].

وعلى هذا فالإنسان تعترضه العوارض الكثيرة التي تؤثر على قواه وعلى علمه ومن هذه العوارض : المرض ، والنوم ، والجوع ، والظمأ ، والخوف ، والنسيان ، وضعف القوى، وهذه وغيرها تؤثر

(١) سورة يوسف، الآية ٧٦ .
(٢) سورة الطلاق، الآية ١٢ .
(٣) سورة الجن، الآية ٢٨ .
(٤) شأن الدعاء للخطابي ص ٥٧ بتصرف بسيط .

على علم الإنسان ، وعلى تصوره ، وعلى فهمه ، مما يجعل الإنسان يمر بأوقات ، وأحوال يسيطر عليه الجهل فيها ويعقب علمه جهلاً، ولذلك أمر الشارع بالعلم ، وبالتذكر والتفكر ، وكرر سبحانه كثيراً من القصص والعبر والمسائل في القرآن لهذا الغرض وبأساليب متنوعة ؛ حتى يبقى الإنسان عالماً ومتذكراً والله المستعان .

المبحث الثامن والثلاثون: من مسائل الجاهلية الإقتداء بالعالم الفاسق، أو العابد الجاهل

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب : هذه مسائل خالف فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين مما لا غنى لمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضدُّ، وبضدها تتميز الأشياء... ((الخامسة)) : الإقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم ، فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله :﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقال تعالى :﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[2] .

إلى آيات أخر تنادي ببطلان الإقتداء بالفساق وأهل الضلالة

(١) سورة التوبة، الآية ٣٤ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٧ .

والغـي، وذلـك من سنن أهل الجاهلية وطرائقهم المعوجة.[١] يستوي العـالم الفاسـق والعـابد الجـاهل في الضـلال والإضلال؛ فالأول جعل العـلم كالـبازي، يصـيد بـه، ويحـرفه عـلى ضـوء الأهواء والرغبات، والـثاني يخـدع بعبادته البسطاء وعامة الناس ويظنون أنه على حق في عـبادته وتنسـكه، ومـا عـلموا أن الإقـتداء بـه مـزلة عظـيمة، تـزل بصـاحبها إلى الـنار، ومـا ذاك إلا أنه اقتدى بهذا الجاهل؛ الذي عبد الله على غير بصيرة نسأل الله العافية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب ط الجامعة الإسلامية .